Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحلقات وربما كان من العسير ـ في بعض عبارات الجاحظ ـ أن ننزع لفظاً من موضعه أو تستبدل به غيره من ذوي قرابته، أو تقدمه على ما أخره؛ لأنه كان يرى لكل معنى لفظاً خاصاً لا ثاني له، ولا مناص منه لمن طلب البلاغة... لقد أفصح عن ذلك بقوله:

(ومتى شاكل ـ أبقاك الله ـ ذلك معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقاً، ولذلك القدر لفقاً، وخرج عن سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التكليف. كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع.... ولا تزال القلوب به معمورة، والصدور به مأهولة.

ومتى كان اللفظ أيضاً كريما في نفسه؛ متخيّراً في جنسه؛ وكان سليماً من الفضول؛ بريئاً من التعقيد؛ حبب إلى النفوس؛ واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول؛ وهشت إليه الأسماع؛ وارتاحت إليه القلوب؛ وخف على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره؛ وعظم في الناس خطره[1].

ويبدو أنه كان يرى البلاغة في حسن الألفاظ ومن ثم كان يدعو إلى الدقة في اختيارها والتروي في انتقائها، ويذكرنا بموعظة أحد الأدباء.

(إن المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً؛ وأعاره البليغ مخرجاً سهلا؛ ومنحه المتكلم دلا متعشقاً؛ صار في قلبك أحلى؛ ولصدرك أملا؛ والمعاني إذا كسيت الألفاظَ الكريمة؛ وألبست الأوصاف الرفيعة؛ تحولت في العيون عن مقادير صورها؛ وأربت عن حقائق أقدارها بقدر ما زينت؛ وحسب ما زخرفت، فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض، وصارت المعاني في معنى الجواري[2].

وإذ كان الجاحظ من أئمة المعتزلة الذين تسلحوا بالفلسفة اليونانية. واصطنعوا أساليبها في الرد على خصومهم فمن الطبيعي أن يعتمد في أسلوبه على التحليل والتعليل وتوليد المعاني وغير ذلك مما يمكن له في المحاورة وقوة

---

(١) البيان والتبيين جـ ٢/ص ٧، ٨ (تحقيق هرون)

(٢) البيان والتبيين جـ ١/٢٧٢ (هرون)